

تحصل تغيّرات سريعة نسبة إلى الحالة الأساسية للعقل خلال المرحلة الباكرة من الطفولة. وبعدها تكتمل حالة عقلية صلبة وثابتة تتعرّض فيما بعد لتغيّرات طفيفة فقط. نشير إلى هذه الحالة الصلبة على أنها حالة نهائية للعقل، تتمثل فيها معرفة اللغة بطريقة معيّنة عند الإنسان، وهي حالة ثابتة يتوصّل إليها الطفل خلال نموه البيولوجي، وتنجم عن تطوّر عصبي عبر تعرّض ملائم لمعطيات لغوية.

إنّ الأسئلة التي بإمكان الباحث طرحها بالنسبة إلى الحالة الأساسية أسئلة متعددة، نشير هنا، إلى بعضها وهي التالية:

أ - ما هي طبيعة الحالة الأساسية؟

ب - ما مدى درجة تمايزها؟ وما هو أصل مختلف البنى المختصّة المنتظمة ضمنها؟

ج - ما هي علاقتها بالقدرات الذهنية الأخرى وبالذات بالذكاء العام؟

د - ممّ تتكوّن الطبيعة الإنسانية في هذا المجال؟

هـ - ما هي العوامل التي تعمل بحيث يتمّ الاكتساب على النحو الذي يتمّ فيه؟

إنّ الأجوبة على هذه الأسئلة تكاد تكون محدودة جدّاً، وذلك لأنه ليس بالإمكان، في المجال العلمي، البرهنة بواسطة الأدلّة المقنعة، أنّ ميزة معينة هي ميزة فطرية. ففي مجال العلوم الطبيعية، بالإمكان فقط، تكثيف المعطيات التي يكون من خلالها بالإمكان تقديم فرضيات معقولة، والاستعانة بأدلة غير مباشرة ومعقدة<sup>(٢٤)</sup>. مع ذلك وفي حال، يتمّ اكتساب تنظيم معقد من المعارف بشكل سريع وعلى النمط نفسه عند الطفل الإنساني وعبر معطيات محدودة ومتبدّلة، يميل الباحث إلى الاعتقاد بوجود حقيقة عقلية، أو عضو عقلي ذي بنية خاصة، ومن ثم يسعى للتوصّل إلى تحديد طبيعته وخصائصه والمجال المعرفي الذي يتعلّق به، وعلاقاته ببقية التنظيمات التي تنتمي إلى البنية العامة للفرد البشري.

٤ - ٣ - البنى الفطرية

ليست المسألة بنظر «تشومسكي»، التساؤل هل إنّ الاكتساب قائم على وجود بنى فطرية. فهو برأيه، قائم من دون شك على ذلك، إنّما المسألة الحقيقية هي في

N. Chomsky, Rules and Representations, p. 130. (٢٤)